

نبي الله إدريس عليه السلام

وزق بشيث...!!

قتل قابيل أخاه وهرب وانتشر في ذريته الفساد بعد ذلك، ولا نعرف كيف مات قابيل، إلا أن آدم - بعد موت قابيل - رزق بابن سمّاه: «شيث»، ومعناه: هبة الله، وعلمه آدم علوم الدنيا وعلوم الآخرة.

نحن نتخيّل أن نبياً يعلم ابنه أمور الآخرة، لكن يعلمه علوم الدنيا؟! ما الحكمة من ذلك يا ترى؟ الحكمة ليعلّم طالب العلم أن نجاحه جزء من عبادته، وتفوق العامل في عمله جزء من دينه. هكذا يجب أن نفهم الإسلام، فلا نريد المتدين أن يكون فاشلاً في دراسته، ولا يفهم الحياة ولا يجيد الرياضة أو التعامل مع الكمبيوتر.

لقد تعلم شيث من أبيه علوم الدنيا والآخرة فأجاد الاثنين فصار نبياً بعد أبيه... وتلك كانت مؤهلات النبوة... فكيف تكون داعياً إلى الله فاشلاً في حياتك؟! وكيف تكونين بالحجاب وفاشلة في بيتك؟! هذا عجز أو خطأ في الفهم. ومكانة المسلم عند الله تكون بإجادة فنون الدنيا وفنون الآخرة. ولا اصطفاء عند الله لمن أجاد أمور الدنيا فقط، ولا اصطفاء عند الله لمن أجاد أمور الآخرة فقط، وكلاهما فاشل في الجانب الآخر، وتكامل المسلم بنجاحه في الأمرين معاً.

ولا تعارض بين الأمرين: فالغاية التي خلقت الله الإنسان من أجلها: هي عبادة الله وعمارة الكون والدنيا معبراً للآخرة، فكيف نبغي حسن التراب والغفامة ونهمل رسائلها وأسبابها وطريقه السعي إليه. فهذا صدق فيه قول الشاعر:

تَبْغِي السَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا إِنَّ السَّافِيَةَ لَا تُجْرِي عَلَى الْيَسْرِ

«كتالوج البشر...!!»

صار شيث نبياً بعد أبيه آدم، ونزلت عليه كتب سماوية. يقول النبي ﷺ: «إن الله أنزل

مائة وأربعة صحف» (فهذا هو إجمالي الصحف السماوية من لدن آدم إلى سيدنا محمد ﷺ 104) ويقول: «أُنزِلَ منها على شيث وحده خمسون صحيفة»⁽¹⁾. ولعل هذا يثير العجب؛ لأنه عدد كبير (50) صحيفة... فلماذا؟! لأن البشرية كانت في بدايتها، فهي محتاجة إلى الشرائع السماوية الكثيرة لتنظم حياتها، وكلما انتظمت الحياة قلَّ عدد الصحف السماوية.

ولذلك نقول: إن البشرية لا تستطيع الحياة بغير شرائع سماوية، فهي التي تقيم حياة الإنسان مع نفسه ومع الكون ومع غيره من غير صدام أو قلق، مثل الكتالوج الذي يعلمك كيف تتعامل مع الآلة من غير أن تفسدها. وهذا الكتالوج وضعه صاحب الآلة وصانها لأنه أدرى بها. وتلك الشرائع وضعها رب الناس؛ لأنه خالقهم وهو أعلم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (المك: 14).

أرأيتم مدى حاجتنا إلى كتاب ربنا؟ فلماذا نهجره؟! إن حياة الإنسان من غير شريعة لا تساوي حياة الدابة، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، فمن يرضى يا شباب أن يكون مثل الدابة!! فاعتزوا بإسلامكم وافتخروا به ليباهي الله بكم الملائكة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).

ما معنى إدريس...

وجاء بعد ذلك إدريس وهو أول نبي بعد آدم «وشيث» وقيل: إن بينه وبين آدم ستة جدد، أي هو الجيل السادس بعد آدم، وقيل: إنه وُلد في حياة آدم، ولا دليل على هذا وغيره. وقيل إنه سُمِّي «إدريس»: لكثرة تدارسه الكتب والعلم، فقد نزلت صحف على آدم وشيث، ولكثرة اهتمامه بها وبالعلم ودراساته سمي «إدريس».

وإننا له لحافظون.

نتم ذكر الحديث السابق... يقول النبي ﷺ: «أنزل الله مائة وأربعة صحف... أنزل منها على آدم (10) صحف، وعلى شيث (50) صحيفة، وعلى إدريس (30) صحيفة، وعلى إبراهيم (10) صحف، وأنزل الزبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن»⁽²⁾.

ويأتي سؤال: ما الباقي من الـ (104) حتى الآن؟! القرآن فقط. هل شعرتم يا شباب

(1) ذكره الطبري في «تاريخه» (1/ 153)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (6/ 341).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

بقيته عند الله... الصحيفة الوحيدة الموجودة حتى الآن هي القرآن الكريم، هو الوحيد الذي حفظ من كل هذه الصحائف. ومع ذلك نراه في البيوت يشكو إلى الله من التراب والغبار الذي يعلوه لأنه لم يفتح منذ رمضان السابق...

لو أمسك كل شاب وفتاة ممن درسوا اللغات والكمبيوتر... هل يستطيع أن يقرأ الشاب أو تقرأ الفتاة سطرًا من غير خطأ في التلاوة...؟! لا يليق بنا هذا ونحن من أمة محمد ﷺ.

ليت كل طالب يستغل الصيف في تعلم قراءة القرآن، ليت كل من يعمل يستغل فراغه في تعلم القرآن... ليت كل أب وولي أمر يهتم بتعليم أولاده تلاوة القرآن في مسجد أو على يد شيخ أو من عنده دراية بتلاوة القرآن.

ولا يرهمنكم الشيطان بأن هذا صعب وغير متاح فالله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17] فهل يحفظ الله هذا الكنز ونضيقه نحن بهجره وعدم تلاوته...؟!

ثورة لتصحيح الفهم!!!

قيل عن إدريس إنه أول من خط بالقلم... بمعنى: أن أول من كتب بالقلم هو نبي من أنبياء الله، ولم يكن أحد الفلاسفة أو الأوروبيين. وهذا معناه: أن العلم والتفوق عبادة، والبعض يفهم أن طريق المسجد يختلف مع طريق العلم وهذا خطأ في الفهم.

إن كلمة: «علم» ذكرت في القرآن (80) مرة، ومشتقاتها مثل: يعلم، ويعلمون. ذكرت مئات المرات، فتكاد تكون أكثر ما تردد ذكره في القرآن. ليت الشباب الطلاب يعزمون على النجاح والتفوق... فإن السنوات تمر ومعدل الرسوب والفشل يزداد كما تظهر بذلك نتائج الامتحانات... والواقع يقول: إن الأهل عندما يرون ابنهم قد تدين خافوا عليه من الفشل... ونحن السبب في هذا التصور؛ لأننا لم نفهم الإسلام فهماً صحيحاً.

يا شباب... الإسلام يحتاج إلى أبناء متفوقين... لا بد من الأخذ بأسباب النجاح؛ لأن دينكم يطلب منكم هذا، وليس بالإسلام حاجة إلى فاشلين يكونون عبئاً عليه.

- أول كلمة قيلت لسيدنا آدم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].

- وأول من خط بالقلم هو نبي الله إدريس.

- وأول كلمة قيلت لسيدنا محمد ﷺ هي: ﴿أَقْرَأْ﴾. ومثل هذا الكلام وراءه معان لا بد من فهمها لتصحيح الفهم والمسار في الحياة.
- ورد ذكر أولي الأبواب في القرآن (16) مرة.
- ومشتقات العقل والتفكير (49) مرة.

- وكلمات مثل: يفكر، ويفكرون، ويتفكرون (18) مرة. ومن ينادي بحرية الفكر أمامه الإسلام، فلن يجد مثل حرية الفكر والعقل في غيره من المناهج الأرضية.
- ذكرت كلمة «حكمة» (20) مرة.

- وكلمة «برهان» (8) مرات.

- عدد الأحاديث التي تحت على العلم في صحيح البخاري فقط (102).

وبعد هذا كله نفاجاً بأن أمة الإسلام في ذيل الأمم. فهل هذا يليق بأتباع النبي ﷺ؟!

وهذه كارتة شارك فيها كل من هَوّن شأن العلم، وكل من كان هُمّه الفش في الامتحانات، وكل من أهدر طاقة كانت ستخدم الإسلام والمسلمين. والنبي ﷺ يقول: «بلغوا عني ولو آية وكونوا بين الناس وكانكم مائة». فالمسلم أحسن طالب، أحسن رياضي، أحسن عالم، أحسن موظف... الخ.
فهل دعينا الدرس يا شباب؟! أرحم وأمل.

دليل واضح...!!

من كثرة تعلق النبي ﷺ بالعلم جعله مقدماً على الطعام. ففي غزوة بدر أُسر من قریش (70) أسيراً، والمنتظر أخذ الفداء؛ لأن الدولة المسلمة في بدايتها وما زالت فقيرة، ولكنه لم يفعل هذا فجعل فداء الأسير تعليم (10) من أبناء المسلمين القراءة والكتابة!.

فكيف يقول إنسان: إن الإسلام عودة إلى الجهل والتخلف، ونبي الإسلام يقدم العلم على البطن؟! فإذا جاءه عشرة من أبناء المسلمين يكتبون أمامه ويجيدون القراءة عفا عن الأسير الذي علمهم.

وما تاضّر المسلمون وتخلّفوا، إلا بترك تعاليم دينهم، وما تقدم غيرهم إلا بعد

اقتباسه من تعاليم الإسلام فهت بها وكافح، وذهلنا نحن عن كتاب ربنا فنشأ في الإسلام أهवाल من الطلاب تستهين بالدين والدنيا. إلا من رحم الله. وصاروا أعداداً كثيرة ولكنها كالأصفار في العلم... ومعال أن يكون مبهومها واحداً.

قيمة العلم في الإسلام...

ولم يترك النبي ﷺ الاهتمام بتعليم النساء، فأمر الشفاء بنت عبد الله بأن تعلم حفصة بنت عمر الكتابة... فمن ظن أن الإسلام يعارض تعليم المرأة فهو مُخطئ.

وفي القرآن سورة يقسم رب العزة من أولها بأداة من أدوات العلم: ﴿تَوَالَّفَ وَمَا يَسْتَفْهِمُونَ﴾ [القلم: 1]... فعندما نعلم أن إدريس هو أول من خط بالقلم يبادر كل من عنده ملكة تخدم المسلمين أن يظهرها ويوظفها.

- رسالة ماجستير أو دكتوراه في أمر يفيد المجتمع، هذا من الإسلام.

- تقديم منتج جديد يفيد الناس، هذا من الإسلام.

- من يطور مصنعه ويُدخل فيه الجديد، هذا من الإسلام.

- الطالب الحريص على النجاح والتفوق، هذا من الإسلام.

ألم يجعل الإسلام طلب العلم فريضة؟ ألم يأمنا ربنا بأن نطلب الزيادة في العلم؟ ألم يأمنا النبي ﷺ بالبحث عن الحكمة في كل مكان واخذها من أي نم؟ انيقوا يا شباب ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير... فلا رُقي ولا حضارة، ولا تقدم، إلا بالإسلام. والإسلام يهت على العلم والتفكير واستغلال العقل حتى لا يَضُمَر لعدم تنغليه. والاهتمام بفناء العبد والروح وترك العقل نقص وعيب... خاصة ونحن نستطيع توفير غذاء العقل، وصدر المتنبي:

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

السير الأعرج...

لا تفهموا يا شباب، أن شرائع الإسلام تطبق فقط داخل المساجد، كيف يذهب رجال ونساء إلى درس علم في المسجد متبهين ومتبهات ثم تجد من بينهم شابين يتدافعان عند

الخروج، أو امرأتين تتسابقان على الخروج أولاً فتحدث مشاكل، أو تجد صغيرة تجلس على كرسي بجوارها امرأة واقفة.

لماذا هذا الفصل بين: داخل المسجد وخارج المسجد. الدين يعني: الأخلاق، والذوق الرفيع، والأدب العالي، واحترام الآخرين، والحجاب الجيد، والنجاح والتفوق العلمي والدراسي.

والفصل في الدين بين هذه الأشياء لا يصلح ولا يقوم على ساق سليمة ولا ساق عرجاء.

علم الإحصاء...

وإذا كان إدريس هو أول من خط بالقلم، فإن رسول الله ﷺ هو أول من استخدم علم الإحصاء. فبعد وصول النبي ﷺ المدينة قال للصحابة: «احصوا لي كل من يلفظ بلا إله إلا الله» رواه البخاري. وفي حديث آخر قبل غزوة بدر قال: «احصوا لي كل من يحمل السلاح من الرجال» يقول الصحابة: فأحصيناهم فإذا هم (1500) رجل.

تعلم اللغات...

والنبي ﷺ هو أول من اهتم بتعليم اللغات... نادى الرسول عليه الصلاة والسلام على زيد بن ثابت، وقال له: «يا زيد، اذهب وتعلم اللغة العبرية، لغة اليهود، ولا تأتني إلا وقد أجدها» يقول زيد: فذهبت فمكثت (18) يوماً ثم عدت إلى النبي ﷺ، فقلت: أجدها يا رسول الله. فقال: «يا زيد أجدها؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «وتكاتبتهم بها»⁽¹⁾ يقول زيد: فكاتبتهم بها. انظروا يا شباب... لقد أجادها قراءة وكتابة في (18) يوماً. وبعضنا يظل يتعلم الإنجليزية مثلاً (12) سنة بلا فائدة.

لقد وهب النبي ﷺ طاقة فوّظها لخدمة الإسلام، فمن وهب في نفسه طاقة أرملة أو سيئاً يهينه ليستغله لخدمة الإسلام وعليه أن ينميه ويرعاه؛ لأنه هبة وعطاء رباني. وقبلة كل امرئ، ما يهين كما قال سيدنا علي عليه السلام.

(1) أخرجه الإمام أحمد في «منسده» (الحديث: 1/ 185).

مكاننا علياً

قيل: إن النبي إدريس وُلد بمصر وأنه أُرسل إلى المصريين القدماء، ولا دليل على هذا في الكتاب أو السنة. إلا أن هناك أمرين يشيران إلى هذا. الأول: أن كل كتب الإسرائيليات تذكر أنه ولد وعاش بمصر. والثاني: أن حفريات القدماء المصريين أثبتت وجود نبي في أول الزمان خرج من مصر وأنه بعث للمصريين ثم رُفع إلى السماء. والقرآن يقول عنه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧).

لم يُذكر سيدنا إدريس في القرآن إلا في سورة مريم: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56، 57]، والمكان العليّ: هو السماء الرابعة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم. أنه عُرج به إلى السماء الرابعة فوجد رجلاً يجلس بها. قال: «من هذا يا جبريل؟» قال: هذا إدريس. فقال إدريس: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. رأيتم يا شباب طبيعة العلاقة بين الأنبياء؟ كلها حب واحترام وإخاء. ليت هذه المعاني تسود بين رجال الإسلام وبين نساء الإسلام.

تُرى... في أي الأماكن نحن...؟!

رفع الله النبي إدريس مكاناً علياً. وهنا نقف مع أنفسنا قليلاً، يقول النبي ﷺ: «إن بين الدرجتين في الجنة كما بين السماء والأرض، وإن أهل الجنة لينظرون إلى أهل الغرف - أعلى مكان في الجنة - كما ينظر أحدكم إلى النجم الغابر في السماء»⁽¹⁾. أي النجم الذي تراه العين بصعوبة لشدة بعده وارتفاعه.

ونتساءل: لو تخيلنا أننا في الجنة... ترى... أين يكون مقامنا؟! هل في مكان مرتفع أو منخفض أو بين بين. تخيل نفسك في الجنة وأحد أصحابك فوقك... عندها تقول: لولا أنني تأخرت عن الصلاة في المسجد لكنت معه... لولا أنني تأخرت عن ارتداء الحجاب لكنت معها في هذه الدرجة.

يقول النبي ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة؟»⁽²⁾ أليس فينا يا شباب هذا الطموح؟ ألا نشتاق إلى الفردوس الأعلى مسكن الأنبياء والشهداء، ومنبع أنهار الجنة، وسقفه عرش

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3256)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 7073)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 340/5).

(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4332).

الرحمن، ووسط الجنة وأعلاها... يقول أحدهم: أنا. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

وما زلنا في الدنيا نستطيعون يا شباب المحافظة على الصلاة في المسجد...
تستطعن يا فتيات ارتداء المعجاب... فلا ندري من سيكون في أعلى عليين؟
ومن تنخفض به درجته؟ ومن سيهم؟ نسأل الله العفو والعافية.

معلومات مغلوطة...

إذاً أول من غزا الفضاء هم أنبياء الله وليسوا رواد الفضاء، سيدنا إدريس رفعه الله مكاناً
علياً. وسيدنا محمد ﷺ وصل إلى ما لا يصل إليه ملك مقرب أو نبي مرسل.

وكان الله يقول لنا تقدموا كما تشاؤون، واستخدموا التكنولوجيا الحديثة كما يحلو
لكم، ولكن إياكم أن تظنوا أنكم ستعجزون بكم.

تمسكوا بدينكم يا شباب وانهمروه فهماً صحيحاً تقرروا به الدنيا، لقد تعهد
الإسلام أسلافكم فنشؤوا هتوراً وقادة في كل مجال، وتركوا لنا خلافة ممتدة الأرحاء،
وسلمونا الراية فهل نتركها تقع ونُدوسها الأقدام فنفسر مصدر عزنا وقوتنا وصداقتنا
ونصيح نبياً لغيرنا...؟

لا يليق هذا باتباع محمد ﷺ.